بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شهرية بعنوان:

دين النظام .... وطريق التيه والظلام

بقلم

محمد بن سعيد الأندلسي

عفا الله عنه

لشهر ذي القعدة من سنة ١٤٤٤

الحمــد للــه رب العــالمين والصــلاة والســلام علــى ســيدنا محمــد وعلــى آلــه وصـحبه والتــابعين أمــا بعــد فــإن مــن الطــرق مــا تنتهـي بصــاحبها إلـى الهــلاك والضــلال المبــين، ومــن الأصــول مــا لــو طردهــا صــاحبها وكــان صــادقا في التزامهــا لأفضــت بــه إلى إنكــار بــديهيات ومســلَّمات في ديــن اللــه تعــالى ... لــذلك تجــد الكثيــر ممــن التــزم أصــولا بدعيــة لا يــدري ابتــداءً مــا هــي اللــوازم التـي تفضـي إليهــا فيتشــربها قلبــه وهــو غافــل عــن المحطــة التـي سيصـل إليهــا مــن خلالهــا، فــلا يلبــث أن يصــطدم بــبعض المســلَّمات التـي كــان عليهــا قبــلُ فيبــدأ الصــراع الفكــري بــين الأصــل البــدعي والمســلَّمات ... ومــنهم مــن يكمــل فــي ذات الطريــق فــتَطحن أصــوله التــي تبناهــا مســلَّماته، ومــع الوقــت تتســاقط عنــده المســلَّمات وينســلخ عنهــا بالتــدريج، وكلمــا حكَّــم الأصــول البدعيــة علــى المســلَّمات ازداد انســلاخا حتـى يسـتبدل دينــه بــدينٍ جديــد لأنــه لــم يســتطع الوقــوف أمــام طوفــان اللوازم والإمساك بزمام الحيرة والتصادم بين الأصول والمسلَّمات.

إن تكفيــر أعــلام الســنة مــن أتبــاع التــابعين الــذين خطــت أنــاملهم حــديث النبـي ﷺ وإســقاطهم بــدعاوى مختلفــة ــ والتـي منهــا أخــذهم بالإجمــاع والقيــاس وهــو فــي معنـى اتخــاذ الأربــاب عنــدهم ــ هــو مزلــق خطيــر يــؤدي بصــاحبه إلــى إنكــار الســنة المحمديــة بالتــدريج، لأن الطعــن فـي الناقــل هــو طعــن فـي المنقــول وتجـريح الشــاهد هــو إسـقاط للمشـهود بــه، وهــو نفــس المســلك الــذي ســلكته الرافضــة مــع طبقــة الصــحابة وصــدق فــيهم أبــو زرعــة حيــث قــال:" إذا رأيــت الرجــل ينــتقص أحــدًا مــن أصـحاب رسـول اللــه ﷺ فــاعلم أنــه زنــديق، وذلــك أن الرســول ﷺ حــق، والقــرآن الكــريم حــق، ومــا جــاء بــه حــق، وإنمــا أدى إلينــا ذلــك كلــه الصــحابة، وهــؤلاء يريــدون أن يجرحــوا شــهودنا ليبطلــوا الكتــاب والســنة، والجــرح بهــم أولــى وهــم زنادقــة "[١] ... ومــا يقــال فــي طبقــة

[١] الكفاية في علم الرواية، ص ٩٧، وانظر: الإصابة، ١ / ١٠.

الصحابة يقال في طبقات الرواة فمن جرح طبقة المحدثين وكفر أصحاب السنن والمسانيد والصحاح سيصل لا محالة إلى محطة إسقاط السنة، فلم يصل قبله نكراني إلى إنكار سنة محمد ﷺ إلا على حمار النظام بن سيار في تقريره لأصوله المحدثة في الخروج على جماعة الصحابة وإنكار إجماعهم بل جعْلُهُ صنما ومن قال به فهو طاغوت!! فجُعل الشافعي من رؤوس الطواغيت!! فكفَّر الغر البليد بذلك طبقة الأوزاعي والثوري ومالك والشافعي ومن بعده من الأئمة والأعلام، وفتح بابا عظيما للطعن في السنة النبوية والتشكيك في طرقها وأسانيدها بل ومتونها وقواعد علم الرجال فيها جرحاً وتعديلاً ... فكيف يأخذ بأحكام النقَّاد كأحمد ويحي بن معين وابن المديني وأبو زرعة والبخاري وأبو حاتم الرازيين وغيرهم من فحول هذا الفن وهو يطعن في دينهم!! ولا شك أنَّ رد شهادة هؤلاء هو إسقاط ضمني للسنة وطريقٌ ممهد لنكرانها ومنه إلى الإلحاد والله المستعان، لأن الرجال الذين نقلوا إلينا السنة هم الرجال الذين نقلوا إلينا القرآن، والطعن في الطريق هو ردٌ للوحيين ... ولو التزم الغر البليد تلك السكة التي مضى عليها في إنكار السنة لأنكر القرآن لأن الصحابة هم الذين كتبوا القرآن بأناملهم وجمعوه بأيديهم ونقلوه بألسنتهم فكيف يقبل عنهم نقل القرآن ويرفض منهم نقل السنة؟

إن إسقاط علوم السلف الكرام من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتسويغ الخروج على جماعتهم هو طريق الزندقة والحيرة والتيه، وهو حدث كبير في الإسلام أنْ تُنصَّبَ فُهوم الخلف مسلكاً في النظر في معارضة وفاق السلف، قال الدارمي:" هَذَا حَدَثٌ كَبِيرٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَظُلْمٌ عَظِيمٌ أَنْ يَتْبَعَ تَفْسِيرُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ بِلَا أَثَرٍ، وَيُتْرَكَ الْمَأْثُورُ فِيهِ الصَّحِيحُ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ

لَهُـمْ بِإِحْسَانٍ، رَضِـيَ اللَّـهُ عَنْهُمْ؟"[٢] ... إن جدلية أن يكون الصحابة أو التابعين كلهم على الخطأ ويأتي من بعدهم في عصرنا قوم خُبِّئَ لهم فضيلة إصابة الحق دونهم لا يناقش فيها إلا زنديق يريد أن يحدث في الإسلام حدثا ويبتدع بدعة لم يسبق إليها سابق لا يصل إلى ذلك إلا بإسقاط السلف، قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: لَوْ كَانَ هَذَا خَيْرًا مَا خُصِصْتُمْ بِهِ دُونَ أَسْلَافِكَمْ، فَإِنَّهُ لَمْ يُدَّخَرْ عَنْهُمْ خَيْرٌ خُبِّئَ لَكُمْ دُونَهُمْ لِفَضْلٍ عِنْدَكُمْ، وَهُمْ أَصْحَابُ نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَالَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَبَعْثَهُ فِيهِمْ، وَوَصَفَهُ بِهِمْ فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ [الفتح: ٢٩] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ"[٣].

وإن كان النظامية والنكرانية يطعنون في المذاهب الفقهية ويرون أنها دساتير يتبعها الناس، فهم لكل فرد منهم مذهب ورأي ودستور، لذلك لا يجتمعون على قول واحد ولا ينتظمون في سلك أوحد ولن تقوم لهم جماعة بل هم الشذاذ على أساس الجماعة والتي هي جماعة الصحابة فكيف تجمعهم جماعة بعدها!! بل لن تجد لهم قولا واحدا في مسائل الفقه المتناثرة ونوازله المتكاثرة، وكلامهم العام في تجريد الاتباع للوحي هو كلام للتسويق فقط، فهم يكفرون بالخلاف وعدد أقوالهم في المسألة الواحدة كعدد أفرادهم إذ لكل فرد منهم فهم وذوق ومقال، ويرى من نفسه الملهم الإمام، وأنه قد فاق أهل الزمان وقد استوى رأسه برؤوس الأوائل الأعلام، وهو لا يزن بعرة في سوق العلم وميزان الإسلام ... لذلك النظامية ليست فرقة أو طائفة بل هي طريق التيه ومحل عبور إلى الزندقة والإلحاد فلا يلبث السالك إلى الزندقة في رحاب دين النظام كثيراً بل يعبره إلى إنكار السنة ومنها إلى الإلحاد والضياع الكبير الذي لا يُرجى منه عود إلا أن يتغمده الله برحمة منه وفضل، وكل ذلك سببه جرأة في الدين

[٢] الرد على الجهمية ٩٢/١

[٣] الشريعة للآجري ٦٧٣/٢

وبدعة مقيتة قد يراها بعضهم صغيرة في أول الأمر محطتها الضياع الكبير قال البربهاري:" كل بدعة أحدثت فِي هَذِهِ الأمة كَانَ أولها صغيرا يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فِيهَا ثُمَّ لم يستطع المخرج منها فعظمت وصارت دينا يدان به فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام"[٤] ... قد يراها بعضهم تحررا من قيود السابقين فترديه في الهلاك المبين ... فلمَّا يرفضون التقيد بجماعة الصحابة وفهوم السابقين بالضرورة يحكِّمون فهومهم على النصوص ويتجرؤون على تفسير الوحيين دون النظر في الآثار وفهم هؤلاء الصحبة الأخيار، فترى في قولهم الشذوذ وتحليل الحرام المتفق عليه، فوقعوا فيما فروا منه إلى اتخاذ أفهامهم حكاما على النصوص والأخبار، فاستحسنوا أراءهم واستوحشوا وفاق من قبلهم فسلكوا بذلك طريق الضياع الكبير.

إن من أفضل الوصايا وأوفق النصح بل هي كلمات مباركة تكتب بماء العيون ما قاله إمام أهل الشام الأوزاعي:" وَأَنَا أُوصِيكَ بِوَاحِدَةٍ، فَإِنَّهَا تَجْلُو الشَّكَّ عَنْكَ وَتُصِيبُ بِالِاعْتِصَامِ بِهَا سَبِيلَ الرُّشْدِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، تَنْظُرُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ؛ فَإِنْ كَانُوا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَخُذْ بِمَا وَافَقَكَ مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ، فَإِنَّكَ حِينَئِذٍ مِنْهُ فِي سَعَةٍ، وَإِنْ كَانُوا اجْتَمَعُوا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ لَمْ يَشُذَّ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَأَيْنَ الْمَذْهَبُ عَنْهُمْ، فَإِنَّ الْهَلَكَةَ فِي خِلَافِهِمْ، وَإِنَّهُمْ لَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى شَيْءٍ قَطُّ، فَكَانَ الْهُدَى فِي غَيْرِهِ وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَهْلِ الْقُدْوَةِ بِهِمْ، فَقَالَ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٍ ﴾، وَاحْذَرْ كُلَّ مُتَأَوِّلٍ لِلْقُرْآنِ عَلَى خِلَافِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْهُ وَمِنْ غَيْرِهِ"[٥] ... عض عليها

[٤] طبقات الحنابلة ١٨/٢

[٥] الإبانة الكبرى ٢٥٤/٤

بالنواجـذ إذا أردت النجـاة فـي مثـل هـذا الزمـان واللـه الهـادي إلـى سـبيل الرشاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين.



